أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع غطيطه فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا **فصل وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله** فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام إني لأراكم من وراء ظهري ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله إياها في حجته وفي قولها في بعض الروايات إني لأنظر من ورائي كما أنظر إلى من بين يدي وفي أخرى إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد

حكي

حكي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة في ذلك وهي من خواص الأنبياء وخصالهم كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه ثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها ثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن أحمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشى مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب

فصل وأما فصاحة لسانه وبلاغة القول

فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة

Copyright King Saud University